لا مكان لا وطن

عبد اللطيف بن أموينة

الكتاب: لا مكان لا وطن
المؤلف : عبد اللطيف بن أموينة
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٥
رقم الإيداع : ١٦٦٠٢ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 – 977 – 493 – 198 – 7

الناشر
شمس للنشر و الإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى – المقطم – القاهرة
ت فاكس ٢٧٢٧٧٠٠٤ (٠٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة



لا مكان لا وطن

نصوص

عبد اللطيف بن أموينة

كتبت هذه النصوص بين سنتي ١٩٩٩ - ٢٠٠٢م

إهـداء

إلى الراحلين الرائعين:

أبي عبد السلام، أمّي فاطمة، أختي الوحيدة خديجة.

إليهم هؤلاء جميعًا،

مع فائض المحبة والولاء والإجلال.

"أسوأ ما في الحياة ألا تجد ما تحلم به أو تتذكره أو تحن إليه"

محمد الماغوط

في المحطة

السماء والريح

تقول كلمات كئيبة"

بن أموينة حسن

بنفس الشعائرية الأليمة مثلما ضاع أبي تمامًا؛

أضاجع الآن غباء الحياة... أهو قبالة الأبدية

جَرَحَ الليلُ حياتي بلا رحمة، حتى أن تلال الخديعة تشهق في أعماقي... دافئٌ أنا ولا عشَّ لي، قلبي مقبرةٌ بضوءٍ خافت، سفينةٌ من الشكوك يدي.

" أنا لا أجرؤ على تحمل الألم الإنساني، هذه مجرد ذكرى من ظهيرة أليمة".

أحدٌ ما تخنقه فكرة الظلام.. أحدٌ ما يستعد لإطلاق الرصاص عليّ، لكنه لم يجرؤ؛ ربما لسبب غامض نجهله نحن الاثنان معًا، لكن مع ذلك أضع نفسي في خانة القتلى.

قلبي جريح.. العتمة تغلِّف كل الأشياء من حولي.

أشعر كما لو كنتُ أحملُ كل عذابات البشر عبر القرون.

لو وضعوني في الجانب المظلم من القمر لما كنتُ أشد عزلة مما أنا عليه الآن.

آه ما أقسى الحياة..

أشعر بألمٍ هائل حين أقف على حافة السؤال الكبير والموجع :

– لماذا كل هذا الفشل الذي يلازم حياتي ؟

الحياة خدعة.. هذا الشعور وهذه الفكرة يجرحانني حدَّ الموت.

الحياة إضاعة يومية لاواعية وخفية للمطلق والحقيقة.

إن المعنى يظل قابعًا بعيدًا في كل ما هو مجهول، ماض، ومنسي.

جسدي على حافة النسيان

أشعر بخواء شامل ولا نهائي، كما لو كنتُ لا أنتمي لأي مكان

ولا ارتباط بأحد

بداخلي احترقتْ غابات، مدن، أحلام، ونساء وذكريات

اليوم أيضًا سوف أكرِّر هذا السؤال الموجع

كيف سيواجهُ المرءُ نفسه؟

أنتظر؟.. انتظر ماذا؟

هل يمكن / ينبغي للمرء أن ينتظر نفسه،

أو أن يظلَّ بانتظار شيءٍ ما.

تختلف السياقات والدوافع والصُدف

لكن هالة السؤال تظلُّ نفسها

جسدي خصمي.. وأملي

سأمشي وحيدًا في أعماقي

الجداريات الأثرية الكئيبة

والبرد، برد ديسمبر

كثيرون سيفعلون مثلي

سأقرأ الرسائل، أية رسائل

أقترض ثمن وجبة المساء

وأدردش في زاوية المقهى إلى منتصف الليل

سأعزفُ وأغنِّي

ولسوف أمشي وحيدًا في أعماقي

ما أفظع أن يعيش المرء على الذكريات

يا إلهي، كم أشعر بالخجل

تعبتُ من التشرد والضياع

أريد بيتًا آوي إليه كل مساء

بيتًا يحميني

إنه الليل..

نفس الليل..

دائمًا ليل الأبدية وليلي..

أمشي في الشارع وحيدًا، في هذا الليل الخائف مثلي

الشارع إرثي الخاص .

في الليل تُغلق الأبواب،
وتتلاشي شيئًا فشيئًا الأصوات
والأحاديثُ والدردشاتُ الحميميةُ الخالصة
ثم لا أحد
تستيقظ الأحلام والرغبات والآلام،
وتنتفخ مساحة الخوف والحنين
أنا أحنُّ إلى المستقبل

أنا لا أتألم و لا أصرخ ولا أذرف دمعةً واحدة

أنا أعرف هاته الحرب، أجل أعرفها تمامًا

فقد خبرتُها مِرارًا،

لذلك تراني أقف بإجلال أمام

الفرحِ والحزن

الفِكر يفتح باب الأمل والتعاطف.

الحياة غير مفهومة

هشة وغامضة

ما هو حقيقي غير موجود

أو لنقل ، يتعذرُ الإمساكُ به

منذ ثلاثين سنة هذه الدمعة

تلاحقني

كم أشعرُ بالرعب

هل الخشبة امتدادٌ زائفٌ أو حقيقي

للحياة الواقعية؟

هل هي قناعٌ

أم مجرد تعبر تعويضي متخيل ومأمول؟.

هذه الموسيقى الدافئة تملؤني بالأمل...

وتعذِّبني في نفس الآن

آه هذا الجنون العاطفي تجاه الحياة والوطن والإنسان ؟

آه ماذا أسميه ؟

نتألم كثيرًا كي لا نخطئ

حيثما نتألم، نتحسر.. نضعف، قد نضيع،

لكن ذلك كله هو مدعاة للتفكير وإعادة فهم وإدراك التفاصيل

مهما بدت عنيفة ومستعصية على الإدراك

لكن الخطأ قد يعني النهاية

الجوع.. البرد.. العراء.. العُزلة.. الخوف

الضياع.. الألم.. الخِداع.. المرض..

واليأس

خذلني الجميع وهذا لن أنساه.

الفرح ضئيلٌ ونادر

الثقة مفقودة

الإنسانُ المؤمنُ معجزة

سأفرُّ.. نعم سأفرُّ

كنا في الطريق ملتصقين بالفراغ..

ابتسمَ، ثم التفتَ إليَّ و نظر في وجهي مليًا،

وأكمل نصف ابتسامته

وقال:

" حوايجك خايبين بزاف اعبد اللطيف"

ثم حلَّ ظلامٌ كثيفٌ في المدينة

لا أعرف بالضبط كيف ستسير الأمور في المستقبل القريب
المهم هو الأمل والخروج من الطريق المظلم
إلى مساحةٍ من الضوء
ليكن هناك ضوءٌ إذن
التفاؤل المطلق للإرادة.

في الليل سأخطو إلى ما لا نهاية

وحيدًا سأمشي..

وحيدًا سأحلم.

قد تتحول الوحدة (في لحظة معتمة وبليغة)

إلى أفظع أشكال السجن،

كيف ما كان امتدادها في المكان وعمقها في الزمن..

شخصٌ يركض باتجاه المسجد. قد يكون سعيدًا

روحي ممزقة،

أفكاري مهشمة،

جسدي مهترئ،

أحلامي تبرأت مني

آه كم صرتُ غريبًا

حتى الكلاب الأليفة صارت تهاجمني بلا رحمة

الوحدة إحساسٌ زائفٌ بالخلود

الوحدة خُدعة

عُلبة الرسائل الالكترونية

لا شيء

عُلبة الهاتف الصوتية

لا شيء

علبة الرسائل البريدية

لا شيء لا شيء

قرأتُ كثيرًا عن القِيم والمُثل العليا

قرأتُ عنها وآمنتُ بها، عشتُ من أجلها

للأسف لم أجدها

فقط وجدتُ بشرًا تائهين وجشعين

وجدتُ ليلاً وطريقًا بلا نهاية

قد أعتذر يومًا عن هذه المُثل

ربما الآن

أنا لا أكتبُ بالقلم، بل أكتبُ بجسدي؛

بانهزاميتي المطلقة أمام ذاتي؛

بوجوديتي الهائلة الجريحة؛

بأملي الشاسع في أن أكون شخصًا حُرًّا مستقلاً ومهابَ الجانب

متحررًا من كل القبضات

لم تعد الحياةُ جميلةً منذ زمنٍ طويل

متى ستصبحُ الحياةُ جميلة؟

هل بعد زمنٍ طويل؟

وحدهنَّ النساءُ قادراتٌ على إضفاء الجمال أو القبح على العالم

على حياتنا

الضوء والظلام

النظام والفوضى،

الصخب والهدوء

هذا ما أفكِّر به الآن

في هذه اللحظة التي ينخرني فيها إحساس بالتلاشي

لم أعد كما كنتُ

لم أعد هو أنا

لا أريدُ كتابةَ أيٍّ شيء

مع ذلك، هذه الوحدة تجرحني حد الموت

لا أعرف ماذا سأفعل بحياتي

و لا أعرف ماذا ستفعل حياتي بي

مرَّ يومٌ حافلٌ بالتفاصيل الصغيرة والعابرة
الإنسانُ يظلُّ مشدودًا إلى روابط تبدو ثابتة
مع ذلك سأعترف..
وأكرِّر هذا الاعتراف رفقة هذه الموسيقى الموغلة في الذاكرة :
هذه الوحدةُ لا تُحتمل
الليلُ والوحدةُ والملل
حتى أنَّ مزاجي لا يحتمل إتمام السيجارة التي بين يدي

الحياةُ هي الطريق.. الحياة طريق

ما أفظع الطريق

الطريق..

الطريق إلى الطفولة

الطريق إلى الخبز اليومي

الطريق الى المقهى

الطريق إلى الموت

الطريق إلى الطريق

الطريق

الطريق

أريد، أفكِّر، أحبُّ وأحلم

أحلمُ أن يصبحَ العالمُ جميلاً في يومٍ ما

هل أنا آثم؟

هرولتُ في كل الاتجاهات

مشيتُ وعبرتُ كل الجسور

انغمستُ في كل اللحظات، وفي كل الزوايا

لم أجد شيئًا

وجدتُ شبيهي يتكرر.

طوابير الذكريات تسحقني هذا المساء بلا رحمة

ثمة أشياء كثيرة تتلاشى وتضيع في المسافة

بين الفكرة والفعل

تلك متاهة لا نهائية

متاهة القسوة والانتظار والوجع

مرَّ الشتاء تلو الشتاء

مرَّت العربات والفصول

قالت: انتظرني.. هناك

حقًا كنت رجلاً بقلبٍ بارد

حقًا كنت جلادًا

لم أذهب

أشعرُ بأني ممزقٌ وتائه

أنا وحدي

بلغتْ حياتي ذروةَ الإفلاس

مُسَلَّحٌ أنا بالصبرِ والكرامةِ والأمل

ولسوف أُبدي مزيدًا من الصمود

فأنا مُسَيَّجٌ بجذرٍ نوراني

كلٌّ ليلةٍ

قدمٌ دافئةٌ وأخرى باردة

كلٌّ ليلةٍ

أتوسَّدُ فراغاتِي السحيقة

وأموت

صار جسدي هو المكان الذي تدور في رحاه هاته

الحربُ القذرة اللعينة والمدمِّرة

إنها تبدو كما لو كانت بلا نهاية و لا بداية

نعم الحرب بيني وبين نفسي

وبيني وبين العالم

لا أعثرُ على وصفٍ لهاته الحالة

لم أجد اللغة ولم يسعفني الخيال

لاجئٌ

منفيٌ

يائسٌ...؟

أعزلٌ...؟

مريضٌ...؟

حالمٌ...؟

أم رحالةٌ مكتشف...؟

إنها الحرب – آلة الألم اليومي

ما أجمل أن يتجولَ رجلٌ كئيب

تحت المطر!

الشتاءُ هديةٌ رائعة

حينما تموتُ الأم،

تموت أجملُ الأشياء بداخلنا؛

يموت العالم

أنا هنا وهناك

الآن

وللأبد

أنا هنا وهناك

بين عتمات الروح

وفِخاخ الجسد

أنا هنا وهناك

أطلُّ من شرفة

لا يراني أحد

ومثل أي رجل بسيط في أي جهة من العالم..

كنت طوال الوقت احتمي بالأحلام والتخيلات الجميلة الجالبة للسرور والأمان.. هروبًا من الإكراهات والالتزامات اليومية التي تجثم على النفس بين الحين والآخر.

أحلم بحياة بسيطة، في رغد العيش العادي بالهدوء والاستقرار

كلُّ صباحٍ أستيقظ أكافح من أجل لقمة العيش،

من أجل السكينة والكرامة.

الليلة الأولى من رمضان بردٌ قارسٌ ووحدةٌ قاتلة

وحيدٌ ومغمورٌ في شوارع المدينة تحت أضواءٍ خافتةٍ وكئيبة

الحزنُ يغيِّر شكل الأمكنة والأشياء

الحياةُ سؤالٌ.. وجعٌ.. اغترابٌ دائمٌ و لانهائي

••••

الكتابةُ عملٌ شاقٌّ ومذِّل

تحملتُ كثيرًا ألغامَ الصداقة وحيرةَ الطرقات

صنعتُ من ذلك فلسفةً مواصلة الطريق

منتظرًا كل المفاجآت الرائعة والبشعة في نفس الآن

العالم الذي يتبخّر الآن في الهواء، وخريفي في سماء عينيكِ، وآهاتي الجريحة، وألبوم الصور، ونهر الخديعة الأبدي، وأزيز الرصاص في صدري، وقهقهة الحقول والهضاب، وحيرة النوارس في الكورنيش، والقلب المنحوت الذي علاه الغبار "هديتي إليك"، ودردشات الهاتف أخر الليل، ورسومات الأطفال على جدران المدرسة الضائعة وسط الجبال، وأوحال الطريق إليك، ونهاية الأسبوع القصيرة جدًا، وجبال الندم التي تسلقتُها دون كلل، وظهيرتي الشاهقة محدقًا في عقارب الساعة الكئيبة، وتراتيل يأسي الفادح، وسجائر الأزقة المعتمة، وفناجين القهوة المُرَّة، والريح، والأرصفة، ومقعدك الشاغر أمامي المبلل برذاذ الأمواج البليدة، ثم اندحاري في صحاري النسيان والغياب...

كم أناآثمٌ بانتظارك

الأمل هو عينك

الأمل هو ابتسامتك، صرختك، خطوتك، وصوتك

جلجلة ضحكتك في دروب أعماقي

الأمل هو حضورك المباغتُ المشعُّ النوراني في عتمة هذا الليل الوحشي

كل هذا الأمل هو أنت

في هذا الصباح أنصتْ إلى قلب العالم
تأملْ الخطوات، ضوء الصباح
ودندنْ تراتيلك الخاصة

كلُّ القضبان وهمية،

كلُّ المحاكمات صورية،

وكلُّ السجون زائفة

السجن الحقيقي هو ما نصنعه بأنفسنا

هو ما نفكِّر به، نتطلع إليه، نحلم به

ثم لا نستطيع الفكاك منه أبدًا

أبدًا لا نستطيع

هذه الطريق طويلة، معتمة وخالية

لكنها الطريق الوحيدة الممكنة

لو أستطيعُ الحديثَ عن الحُزنِ الدفين، الكامنِ في أعماقِ كل واحدٍ منا

ذلك الحزن الغريب الأبدي

لو أستطيعُ الحديث عن البرد القارس، البارد، الجاف،

عن الخريف والغيمات العابرة المتنكرة

عن العزلة العاطفية، وعن الوحدة

يا إلهي كم نحن مشوهون

اللهِ...

يدعونا لبناء عالمٍ يسوده الخير والمحبة والإخوة بين كل البشر

ولا يريد عالمًا من القذارة، الجثث، والبؤس.

عالمًا ينخره الحقدُ وتلطِّخه البشاعة

تبًا للإرهاب والتقتيل أينما وُجد

أريدُ عالمًا يسوده الخير

أنا أمقتُ التدخين

مع ذلك عدتُ للتدخين بمعدل سيجارة أو سيجارتين كل ليلة

أدخِّن وأتيه في شِعابِ التفكير إلى ما لا نهاية

••••

العرب يدخِّنون كثيرًا بالليل،

في ذلك لغزٌ لا شك

أينما كانت سوف تعود،

لابد أن تعود

لقد حلَّ المساء،

المطر يسقط بغزارة وروعة على المنازل والشجيرات

المساء يمطرني بوابل من الأسئلة بمزيج من الحيرة و النشوة والترقب

لا بد أن تعود،

فقد حلَّ المساء والظلام يخيم شيئًا شيئًا على جسد المدينة

آه، لقد دخنتُ بشدة هذا المساء

لسنواتٍ طويلةٍ ومتعاقبة؛ كان مضطرًا (وراضيًا) أن يفكِّر، أن يعيش، وأن يمشي وحيدًا مثقلاً بالأشباح، بالأطلال وبالحنين.

هل يستطيع أحدٌ في لحظةٍ ما (ولو خارج فرضية الزمان) أن يرمّم ثقوب الذاكرة؟

هل تفكِّر بي هي طوال الوقت كما آمل؛ أو كما يجب؟

هل أزورها كلَّ ليلةٍ لأكونَ فارس أحلامها الوحيد؟

هل هذا جنون، حنين، أم ثقة عياء في مخيلة مغرورة وطوباوية

لا أحسب ذلك غباءً أو امتيازًا

ربما يمثِّل ذلك أسوأ وأغرب ما قد تنحدر إليه العبقرية العاطفية

الإنسان يضع عقله ورجليه في العصر الحديث

ينبغي تذويب الجنون

ينبغي تفتيت الألم

ينبغي محو السنوات والأزقة والإهانات

ينبغي أن أشعلَ شمعةً في ردهات روحي

كي يُضاء العالم قليلاً

ينبغي هتك الظلام

أفكِّرُ في الجسد لكنه عدوٌ لذيذ

أفكِّرُ في النفس لكنها متعبةٌ بقسوة

أفكِّرُ في الأصدقاء لكنهم بمزاجٍ سيء

أفكِّرُ في الموتى لكنهم غرباء، وبعيدون

أفكِّرُ في المكان لكنه هشٌّ بارد

أفكِّرُ في الزمان لكنه مراوغٌ بارع

أفكِّرُ في الله لكني لستُ نقيًا بما يكفي

ها إني أسقط بكامل وعيي في فخِّ الرذيلة

لا أقصدُ اللصوصيةَ أو الخديعةَ أو معاكسةَ الحقائق العامة

بل أن أمحو نفسي بنفسي في ذلك المسارِ الشاقِّ الطويل

الخطُ الذي أتأرجحُ فوقه الآن

يا للخسارة...!

كان لدي متسعٌ للوقت

بل كل الوقت لفعل أي شيء؛

تأدية طقوس النفاق، التهام الكتب، الجشع الصارم لجمع المال

لكني لم أفعل، لقد افتقدتُ دائمًا لذلك المزاج

وهكذا كنتُ وسأظلُّ

كريمًا مع العائلة

نصوحًا مع الأصدقاء

جادًا في العمل

حالمًا في المسرح

مرتابًا في الشعر

محتالاً مع النساء

الكلُّ متعبٌ، الكلُّ حائر
الكلُّ يضحك، الكلُّ سعيد
العالم يبدو كما لو كان قطارًا لا نهائيًا من المجانين والحكايات

كلُّ يومٍ أخطو خطوة

أضعُ حجرًا لبناء سعادةٍ ما

النهايةُ يقطفها الآخرون

بينما أتدحرجُ أنا يوميًا نحو البؤس والتعاسة والنسيان

كنتُ أنزوي هناك مِرارًا قرب النافذة،

ساهمًا لوقتٍ طويل

متأملاً مشهد المطر الرائع،

أجاهدُ لرمي كُتل الماضي المترسبة في الوعي.

أريدُ أن أمحو من طريقي سوء الحظ، العزلة والحنين القاتل

كيف طالني النسيانُ أنا أيضًا

الخوفُ، الخوف

الخوفُ ذلك الامتدادُ الوهميُ القاسي بين المدِّ والجَزْر في حركةٍ دائبةٍ ولا نهائية

وذلك التأرجحُ المشوبٌّ بالقلق وبحنينٍ رهيبٍ وغامض

هذه اللغةُ كم هي مريضةٌ، شاسعةٌ وناكرةٌ للجميل

وإني فعلاً في الجحيم، لم أتحرَّر منه بعد

أيها النسيان.. يا ثلج الحياة الخالد

لا أعرفُ إطلاقًا من أين تأتي هذه الحساسية المفرطة
وهاته الهواجس الرهيبة
سأمشي وحيدًا أطول ما أستطيع،
طالما هناك طريقٌ، وطالما لديَّ المزاج
داخل المكان والزمان سوف أمشي وحيدًا
دون أن أحلم أو أفكِّر أو أن أتطلع إلى لا شيء
كل التطلعات تبدو لي متعذرةً ومستحيلة
نعم سأمشي وحيدًا، متحررًا من كل القبضات
عازفًا على أوتار جسدي
وحيدًا باتجاه الأبدية
تبًا للصمتِ والكلام
تبًا للشبابِ والشيخوخة
تبًا للغروبِ والشروق
تبًا لكلِّ شيء

سأمشي وحيدًا، أنا هو الرجل الأكثر عزلة في العالم

الأكثرُ ألــَمًا في التاريخ

نعم سأمشي وحيدًا أطول ما استطيع،

وطالما لديَّ المزاج لذلك

أريدُ لو تبدَّدتْ فجأةً هاته الأوهام

التي أمسكتْ بي دون رحمةٍ أو ملاذ

تعبتُ..

كانت تلك الموسيقى الدافئة تبعث في أعماقي اغترابًا وحنينًا نادرين

تلك الموسيقى المنبعثة من المذياع، من السماء،

أو من جهة قصية في الروح البشرية

كنتُ حزينًا للغاية ذلك المساء،

لكني مع ذلك كنتُ ممتلئًا بالأمل لسببٍ قويٍ وغامضٍ أجهله

لم أجد الراحة أو العناية في أي مكان
وكان إحساسي بالوحدةِ والانخداعِ يتسعُّ يومًا بعد يوم
هل صِرتُ عدوًا لنفسي؟.. قلتُ
ظلَّ المطرُ يتساقط لساعاتٍ طويلةٍ ومتواصلة
جالبًا إلى الذهن كل أشكال الخواطر
في سياقٍ يقطر بالوجعِ والحيرةِ والضياع

كلٌّ يومٍ تنفلتُ من بين أيدينا أشياءٌ كثيرة: العبارات والصور، التفاصيل، الذكريات والتطلعات، والمواعيد الصغيرة

إنها الأوجاع مرةً أخرى

المشهدُ يبدو خاليًا،

فقط هناك بضع شجيرات من الليمون والاوكاليبتوس

مختلفة الأعمار والأحجام متناثرة هنا وهناك

بدأ المطر ينهمر فجأة خفيفًا ودافئًا

أسمعُ دردشاتِ الأصدقاء وأحاديثهم

أتأملٌّ أعقابَ السجائر المرمية هنا

قُربَ هاته النافذة، رِفقة هاته الموسيقى

السماءُ ما زالت مليئة بالغيوم، وبالمواعيد المؤجلة

الطرقاتُ خالية تقريبًا

الهواجسُ تتزاحم في دروبِ الذاكرة

إنها الأوجاعُ مرةً أخرى

إنه المساءُ، مساءُ الأحد

الأحدُ كئيبٌ، صامتٌ وبارد

أشعرُ بالوحدةِ والألم،

وبأني في أبعدِ نقطةٍ عن البشر وعن العالم

حيث العزلة الرهيبة، عزلةٌ يشتاقُ معها الإنسان لأيِّ صوت

الوحدةُ لحظةٌ جارحةٌ وأليمة

أجرُّ ورائي ثلاثينَ شتاء

ما الذي يستطيعه شخصٌ مثلي؟

أجلسُ هنا وحيدًا صامدًا على عتبة الغيب والسؤال
أنا صديقُ الليلِ والسُّحبِ والأشجار
يا إلهي ألهمني القوةَ والصبرَ والتفاؤل
الآن فقط تتقاطرُ على مخيلتي آلافُ الحدوس
هل صِرتُ راعيًا للاستعاراتِ دون أن أدري؟

أشعرُ بالوحدةِ القاتلة، وبالألم..

لأن حياتي مبعثرةٌ طويلةٌ وبلا معنى

لأن الآخرين ينهشون جسدي وروحي

وأنا صامتٌ أتفرج، وربما ابتسم..

أشعرُ بالألم، ولا أحكي لأحد

أشعرُ بالألمِ والأيام تمر

العواطفُ تخرِّبُ الإنسان

الوحدةُ هي عدوي الآن

إنها تقتل،

في حين قد لا يقتلُ الرصاص

لسنواتٍ طويلةٍ مليئةٍ بالبُؤسِ والإهانة.. عِشتُ في الشارعُ على حافةِ الموتِ والجنونِ والإدمان

عشتُ هامشيًا، منسيًا، تائهًا ومرفوضًا

في نظامٍ اجتماعيٍ يسحقُ الضعفاءَ والمسحوقين والمُعدَمين

الشارعُ تجربةٌ قاسيةٌ ومريرة، قد تستمر في الزمان، وقد تنتهي

لكنها تظلُّ أبديةً ومخيفةً في أعماق الإنسان

ينسى الإنسانُ كل ما يؤمنُ به،

لكن،

لا ينسى أبدًا ما بداخله

كلُّ شيءٍ هشٌّ و تافهٌ هذا المساء،
المكانُ فارغٌ ورتيب
لا أثرَ للحياةٍ والدفء، لاشيء
سأدفنُ لحظتي، جسدي وخيالي، في أيِّ حكايةٍ من أولِ كتابٍ
تقع عليه عيناي
أشعرُ بآلامٍ فظيعة
ويغمرني إحساسٌ مطلقٌ بالريبة والضياع

صار عاجزًا عن أيِّ شيءٍ
اضربَ عن كل الطقوس اليومية والتفاصيل العابرة
لم يتحمل حتى لعبة الحكي المجاني
شُلَّتْ قدراته
طوَّحتْ به الافتراضاتُ اللعينة إلى الجحيم، ومزقتُه التجربة
يقرأ كتبه لوحده
يمشي في الطريق لوحده
يفرح ويبتسم لوحده
يحزن ويبكي لوحده
يهيئُ طعامه لوحده، يتناوله لوحده.
يفكِّر ويحلم لوحده
هل تفكِّر به هي كما يفكر بها هو؟
هل تتألم له كما يتألم لها هو؟
هل تحنُّ إليه كما يحن إليها هو؟

تبًا لهذا العالم البئيس، اللعنة على ......!

تحالف الزمان والمكان ضده

لا شيء يوجعه إطلاقًا،

غير ذلك الكم الهائل من الآلام الدفينة الراقدة في أعماقها

غير ذلك الحزن المقيم في عينيها

خطوتها المترددة

صوتها الأجش

يداها المذعورتان

نظرتها الأليمة التائهة

يا إلهي لقد شاخت

يا لرعب هذه الحقيقة، مضى كل شيء، بسرعة مذهلة

يا إلهي...!

هذا المساءُ، الأشياءُ باذخةُ الإيحاء حدَّ العمى
لكنني مرهقٌ وعاجزٌ عن التفكير
لا يمكن أبدًا استعادة أيِّ شيء، هذه هي لعبة الزمن
الزمن الضائع – المفقود – المتلاشي – المتعذر
شيءٌ أشبهُ بالوقوفِ على رصيف الاستحالة

لا أحدَ ينصتُ إلينا أو ينتبه إلينا،

إلى أين المفر؟

الحصارُ في كل مكان

نحن غرباءُ في الوطن، وطننا نحن

كيف يمكن للمرءِ الإحساسُ بالغُربةِ في وطنه الأم؟

وهل يستطيع العثور على علاجه في مكان آخر؟

كيف سيدبِّرُ وسيعيشُ عُزلَتَهُ واغترابَه

هل يكونُ ولاؤنا مطلقًا للوطنِ والتُراب؛ ترابِ الأسلاف

ما هو ثمنُ هذا الولاءُ الطفوليُّ والمطلق؟

أحيانًا تدقُّ في مخيلتي نواقيسُ الذكريات

أحيانًا في مملكةِ الظلامِ والترقب أقفُ بإجلالٍ

أمامَ ذكرى أبي وأمي الراحلين الرائعين

أتألمُ، ابكي، ثم أنسى

هذه المشاعر تجاه حياتي تسحقني

أحيانًا في مملكة الظلام القاسية الرهيبة، أفكِّرُ بالحبِّ، بالموتِ،

وبطفولتي البعيدة

أتذكرُ الحظَّ العاثرَ، الشكوك،

وحنيني المهولَ لأشياءٍ حميميةٍ وشفافة

محفظة الأمل الذي لا أحتاجه كثيرًا و لا أحمله إلا نادرًا..

لقد ذهبتُ هناك ووجدهم أيضًا مثل الآخرين

كل ذلك حين تدقُّ في صدري نواقيسُ الذكريات

انظروا جيدًا،

ها أنا أواصل فتوحاتي،

ها أنا هادئٌ، موقنٌ، أصعد شيئًا فشيئًا مراتبَ اللذةِ والألم

أزيلُ الستارَ عن المخبوءِ والدفين

سقط مطرٌ غزيرٌ.. بالأمس..

أما اليوم، فالجو صحوٌ، رائعٌ ودافئ

رحتُ أتمشى في زقاقاتِ المدينة العتيقة،

بشخوصها، بتذكاراتها، وآثارها الظاهرة والمنسية،

ثمة في كل ظلٍّ من ظلالها، تنتظرك روعةٌ، ويأسرك مشهدٌ أليف.

حزنٌ عجوزٌ غلَّف المدينةَ بأشجارها، بيوتها ومساءاتها

هذا الجمالُ المرهف النائم هنا، خالدٌ ومشوه.

قسوةُ الزمنِ وترتيلةُ النسيانِ تنخرُ عُذريةَ المكان

أبدًا لا يمكن امتداحُ البؤس.

لا تغفرُ لنا الحياةُ أن نجرحَ قلبَ امرأةٍ تحبُّنا، أو تحتفظُ لنا في دواخلِ روحها بمساحةٍ من الحنانِ والعطف
ولو فعلنا ذلك، فنحن آثمون

لم يدركوا قطَّ سِرَّ ذلك
أسمِّيه سيرورةَ الألم،
ألمي الخاص، ألمي الكبير
ألمي الذي هو سِرٌّ حكمتي
ألمي الذي هو سِرٌّ خطوتي
وبذرةُ الأملِ في ذلك الطريق العصيِّ الطويل

جمعتنا صداقةٌ وأخوةٌ مثيرةٌ وقوية

ومن هنا؛

من إشراقة الربيع في قلب هاته البلاد

تحت ضوء هذه الشمس الحنون...

أرسل إليه دعواتي الأكثر براءةً ونقاءً وقداسة

أشعرُ مرارًا أننا معًا (أنا وهي) غريبينِ عن هذا العالم
يتيمينِ بالفطرة
كيف وهل استطيع -ولو في لحظة واحدة معزولة وخاطفة-
أن أقطع هاته الأوجاع التي بيننا..
والتي صرنا عاجزين معًا (أنا وهي) عن إيقافها، أو حتى فهمها؟

وجدتُني أتمشى غير ما مرة مدفوعًا بهواجسي الأكثر غرابة وجنونًا، وبذكرياتي عن الأهل والطفولة، وعثرات الحياة التي لا تُحصى..

في لحظات الفراغ الرتيبة، ظلَّتْ هذه الذكريات تجلدني بلا رحمة أجدُ نفسي واقفًا خلف ذلك الباب الحديدي ذي القضبان السميكة، متأملاً مشهد الأحراش والتلال البعيدة.

يا إلهي ما الذي جاء بي إلى هنا؟ ربما أخطأتُ الطريق

أليس ذلك حالة من التعذيب الإلهي أو عقابًا على جرم فظيع؟

أم هو مجرد حلم ليلة ربيع؟

أم حرصٌ من أبي وأمي الراقدين هناك في عمق هاته القبور الخضراء المتلألئة نورًا من أجل العناية بي؟

مازلتُ رغم كل شيءٍ أرقب كلَّ صباحٍ مشهد شروق الشمس الفاتن والمتوهج

أصارع هاته الألغاز الأليمة التي تنسج حياتي

رغم هذه الوحدة الجبارة التي صارت تغرق فيها يومياتي البئيسة

يا لهاته الأوجاع التي تنحرني

صرتُ حائرًا، هل أصعد الأدراج، أم أنزل إلى أسفل السلم؛ حيث العتمة تعمُّ العالم.

أما الأمل، فإنه هناك، في مكانٍ آخر

أخفقت في كل شيء، أفلستُ...

لكن روحي ما تزال صبورة ويانعة

ما أغرب حياتي

إنه قمة الاستهتار والظلم..

أن تجهد جسدك وروحك حدَّ التعب المميت،

ولا تجني سوى أحكاما فظيعة بالجحود واللاجدوى

كم أشعر برغبة فجائعية بالبكاء

أن أرمي بنفس في الريح

نعم أشعرُ بعذابٍ حقيقي

هاته الموسيقى جرحٌ وأملٌ وجنونٌ وغفران

هاته الموسيقى تصعدُ بي نحو السماء

هل أنا ملاك؟

من مِنَّا يبحث عن الخلود؟..

حياتي تؤلمني

مرهقٌ أنا، لكن بيتي نظيفٌ ومرَّتبٌ هذا المساء

ممزقٌ وتائهٌ في متاهة لا نهائية من الصُدف والاحتمالات

لماذا رحلت؟ لماذا لم تنقذني؟

أريدُ أن أظلَّ وحيدًا هذا المساء

وأن أبكي بحُرية

أنا متعبٌ وتائه

الشكوكُ تعمُّ العالم

بالأمس فقط، كنتُ سعيدًا وممتلئًا بالحيوية

واليومَ أغرق منذ الصباح في هذه الرؤية الكئيبة

لم أتخيل - ولو للحظة واحدة - أن أجد نفسي في هذه الوحدة وحتى فيما بعد،

لم أتصور إطلاقًا أن وحدتي ستصل هذا الحدَّ من القسوة والغموض واللامعنى.

وأيضًا أقصى درجات البشاعة

مشهد المطر رائع وأليف... هاته الشرفة وهاته الموسيقى تخفِّف عني الإحساس بكوني يائس ومخدوع

كل شيء لا معنى له في هذا الوطن

كثيرون يتلقون رواتب فاحشة يأتون متأخرين ثم ينصرفون باكرًا.. ونبقى نحن القابعين في المكاتب الباردة نحن المخدوعون

هذه المشاعر كم هي أليمة

اليقين أيها الصديق الغادر

كل ذلك سبَّب لي إحساسًا بالتفاهة والمرارة،

بل عذابًا حقيقيًا ويوميًا

كنتُ أحيانًا أرقص وأغني مثل عصفور نشوان

وأحيانًا أخرى أبتهل حتى لأني أصبح مثل قديس

كم هي غريبة عاداتي، ومتناقضة آمالي

لا أريد أن أفتح نهرًا جريحًا بداخلي، فتنهمر مياه الألم والذكريات، لتفاجئني دون موعد فتؤلمني.

عِشتُ وحدي في مواجهة الآلام الكبيرة،

لم أكن محميًا قط

ولم أكن في منأى عن الخوف والترقب الداخلي الرهيب

أمي أتذكرك في عيدك. أتذكر تلك الروح الطاهرة الصبورة

آه، كم أفتقدك خلال ساعات هذا الصباح الغريب عني

أمي، كم سأفتقدك للأبد..

أمي وحيدٌ أنا، مريضٌ ومحطم،

ولا حيلةَ كي أذرف مزيدًا من الدموع

أمي رحمة الله عليكِ في مملكة الله الفسيحة

فجأة تحطَّمَ الإنسانُ بداخلي

صِرتُ مهزومًا

لطختني هذه السنوات بأسمال الإذلال والتفاهة والخنوع

لا لن أخلص لأحد

نبالتي عملاقة،

وكلامي حزين وبلا جدوى

حياتي رتيبة ومخيفة؛

لكنها لا تساوي شيئًا أمام أحزان الآخرين،

لذلك أدفن تعاستي حتى تزهر قليلاً،

وتغدو أزهارًا شفقةً عليهم جميعًا

ماذا عساي أفعل؛ أو أكتب، في هذه اللحظة الأليمة الجريحة..
أحلم؟ أفكِّر؟ أتألم؟.......
أشعر بضياعٍ عارمٍ وشاسع، كما لو أضعت نفسي في الطريق
كيف أزيحُ جبالَ الوحدة هاته التي تطوقني من كل الاتجاهات

لماذا أركض بكل هاته الهواجس والشكوك

بكل هذا الغباء، نحو هاته العلاقة الملتبسة المفككة والمجنونة

كم أنا ممزقٌ وتائه

صرتُ مثيرًا للشفقة

لماذا؟

أستمر في هذا البحث الذائب المضني عن الخيط الأحمر الرفيع
الخيط السري الناظم لهذه الأسراب الفادحة والأحلام الوضيعة
والنبيلة
التي هي أحلامي أنا
أبحث بالفكر، بالتخيل، وبالحكمة الخلاقة.

مجبولٌ على القلق والأمل والحلم

سيأتي الشتاءُ الذي كان،

وسوف أكتب القصائد، الأسرار،

والأساطير التي أختزنها في وجداني

ماذا تعني حياتي أنا؟

ماذا تعني إذا لم أجدها في قلب الحياة؟

في قلب المستقبل

هل أستطيع الاختيار والحلم

أعرف جيدًا من أنا؟

لذلك أعرف جيدًا من سأكون؟

أفكِّر فيك بلا انقطاع

أنتظرك بفارغ العمر

أنتظرك وأشعر بالتمزق والوحدة والعذاب

أنا هناك وأنت هناك

بيننا الكلمة إلى الأبد

نسمع هدير رياح

لا يسمعها أحد.

كلما أوغلتُ في تضاريس الحياة، في مياه الزمن...

أيقنتُ أني مجرد نقطة متناهية الصغر

لذلك صارت أحلامي بسيطة وخجولة

الصيف يجمع حقائبه باتجاه الأبدية،

حاملاً معه عيد ميلادي الثالث والثلاثين

غيوم "شتنبر" تتراءى شريدة في الأفق

وأنا أجلس هنا،

أعترف بأني لا أمتلك مشروعًا وجوديًا شخصيًا وواضحًا

"معرفة الذات هي السقوط في مهاوي جهنم"

تلك هي وصية "كانط" الجارحة

وهذا هو اعترافي.

تفسختُ

وترهلتُ

وشِختُ

ونمتُ

ومِتُ

وعِشتُ

وقلتُ

الأصدقاء جثث

والليل معطف رديء

روحي ربيعٌ دائم، وطنٌ شاسع

لن تهزمني أبدًا آلام منتصف الليل

• • • •

العُزلة اختراع رومانطيقي وشاعري لمواجهة العالم

أما الوحدة فهي حالة فظيعة لا تُطاق

توجعني - وللأبد - هاته الأصوات،
هذا الحلم المنبعث من رماد العالم خلال هذا الصباح المشرق
لحظة خاصة من الحنين والانبهار
ها أني أسرق وقتًا من زمني، من زمن الانتظار، من زمن العالم
كي أعيد - ما استطعت- تشكيل هذه الذات الصاخبة
كي أنصرف قليلاً عن الفخاخ التي تترصدني بين اللحظة والأبدية.

أحبُّ مشاهدة الغيوم وهي تعبر فوق رأسي راحلة،
خفيفة ورائعة
تذكرني بالطفولة البعيدة،
بزمن لا يستعاد، زمن سعيد.
أحب أيضًا تأمل السماء زرقاء، صافية ونقية إلا من بعض الغيوم العابرة المهادنة البيضاء
السماء سقف حياتنا للأبد
السماء الآن هي أمي، سيدتي، حلمي، وجعي وانتظاري، مرآتي (الكبيرة) العظيمة التي أرى فيها حياتي، أيامي، جروحي ألمي، خساراتي، وغدي الغامض
السماء (سمائي) دولاب التفاصيل والذكريات المفرحة والأليمة
السماء شاشة نراها، نتأملها، نتهجى حروفها وإيماءاتها نتفرج عليها، نطلُّ منها، نرى الآباء والأمهات، المربين والأصدقاء الأشقياء، العطل والألعاب، رسائل الحب البريئة والبليدة

نسمع حكايات الجدة، صراخ الصغار، ودردشة الجيران.

نشمُّ رائحة الحلوى والشاي الساخن والحساء

نتذكر شمس المغيب

نشم رائحة عطور النساء والعذارى القادمات للتو من زفاف قريب

نسمع صوت المذيع الرياضي وأغاني الصباح الشجية

لكل منا سماؤه

يتأملها، يحتفل بها، يخاف منها أو يتركها

ينساها ليعود إليها، ذات لحظة من لحظات العمر المنفلتة

بي إحساسٌ جارفٌ، عاجزٌ عن فهم كنهه
أريد أن أنتشلَ نفسي من القذارة، من المتاهة والبؤس
لن نظلَّ مشردين في هاته البلاد القاسية

• • • •

الذكريات تسحقني في هذه الظهيرة
ذكريات جسدك
كم أشتقتُ إليك، تعالي نتيه من جديد

سوف أكتبُ عنك في هذه اللحظة

مساء هذا السبت الدافئ

قصائدي، حكاياتي، اعتذاري وتضرعاتي الباطنية المشبعة بالحنين والوله والرجاء

هل تسمعين صهيل آمالي في هذا المساء الدافئ

مساء السبت؛ سبت "غشت"

ترى هل تسمعين نداءاتي وصراخي المبحوح الممتد إليك من خريفي إلى ربيعك الفاتن

دخنتُ كثيرًا خلال هذا الشهر "غشت"

ولا سيما بالليل

بسبب آلامي العائلية

بسبب الآمي المقيمة في أعماقي

وبسبب وحدتي

جروحي فادحة هذا المساء

ذاكرتي ملطخة بالأحزان والانتظارات

شرودي طويل، أحلامي عزلاء ومؤجلة

لم أكن أدرك أنني سأنفذ كل هاته الاغتيالات اليومية في جسد الكلمات؛ في جسد الحياة؛ وفي جسد الزمن

روحي مكتظة بالجُثث

لن أكتب شيئًا / حرفًا بعد اليوم

إنه وعدٌ صريحٌ وجادٌ إليكِ أيتها الأوراق البيضاء

سأتركُكِ عذراء

لأنني، بعد ذلك، لن أرحمكِ أبدًا

كلُّ شيءٍ باقٍ هنا

الطاولة والأوراق وفنجان القهوة

الأغاني والرسائل والخداعات

ربما كنتُ الغائب الوحيد

نهرٌ من الدموع الخفية،

يخترق جسد المدينة المنهك..

• • • •

لا أحد.

وحدها عقارب الساعة الهرمة،

ترثي الغائبين.

في العتمة. على درج المنْزل العتيق.

الموسيقى الحزينة، المنبعثة من الشارع،

وصوت الباعة يخترق الجدران الباردة.

لكن صوت المرتل كان أروع وأبهى.

من ثقبٍ صغير، رأيت كيف جثا الظلام، على المدينة التي بدت مثل نعامة خائفة.

في تلك اللحظة القصيرة الخاطفة، رسمت صورة رثة ومفجعة للمدينة في خيالي، لكن مع ذلك، أحسست أنني في ذروة إحساس عظيم.

دخنت السيجارة الأولى بنشوة غريبة. ثم دخنت الثانية بلهفة وتثاقل. ودخنت الثالثة والرابعة بيأس مريع، ولم يظهر أحد، لا أحد..

ثلاث سجائر ومنضدة معدنية

ثلاث أصدقاء وعلبة تبغ

ثرثرة والغاز كثيفة

" آنت غادي تشرد وغادي تموت حدا شي حيط "

نظر إلى الفناجين الفارغة تمامًا

تألم في صمت رهيب. وحوَّل عينييه التائهتين إلى مشهد سفينة مضاءة وسط البحر،

واستسلمت روحه المتعبة لصوت النّوارس.

فكر في الطريق الممزق إلى البيت، في سريره البارد، وليل فاجع بانتظاره

آه يا حياتي،

أيّتها السفينة

التي تدفعها

رياح الصُدف والأخطاء.



المؤلف في سطور

- شاعر، وناقد إعلامي، وكاتب مقالات رأي
- من مواليد مدينة أسفي بالمغرب سنة ١٩٧٣م
- حاصل على ماستر علم نفس وشهادة مهنية في الصحافة.
- ناشط مدني ، وعضو منظمة أدهوك
- صدر له:

- لا مكان لا وطن : نصوص
شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٥م

- له حاليا ديوان شعري قيد الطبع
- البريد الإلكتروني : abenmouina@gmail.com



(+2) 01288890065 /(+2) 02 27270004

www.shams-group.net